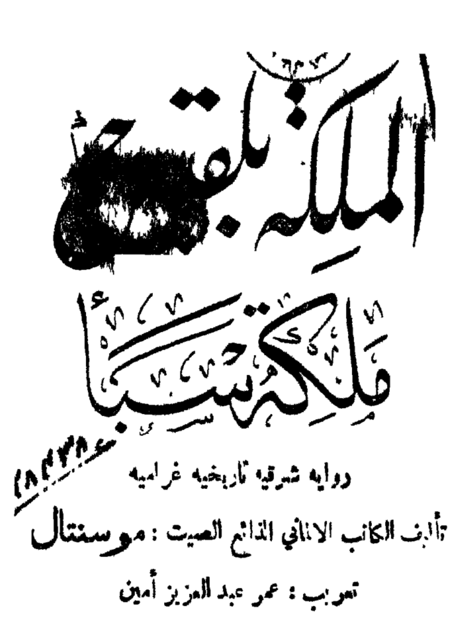


رواية شرقية تاريخية غرامية

تأليف الكاتب الالماني الذائع الصيت : **موسنتال**

تعريب : عمر عبد العزيز أمين



ب من المكتبة الملوكيه بشارع محمد على بدرب العوالم نمره ١٨ بجوار دار المؤيد بمص



رواية شرقية تاريخية غراميه

تأليف الكاتب الالمانى الذائع الصيت

موسنتال

تعريب

عمر عبد العزيز امين

التزام

المكتبة الملوكية

بشارع محمد على بدرب العوالم نمرة ١٨ امام الكتبخانه بجوار دار
المؤيد بمصر وبشارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف بمصر

المقدمه

هذه رواية بلقيس الشهيرة بملكة سبا كتبها بالالمانيه المؤرخ الروائي الشهير (موسنتال) ثم اقتبست للمسرح وترجمت إلى جميع اللغات الحية ونالت اعجاباً لم تنله رواية قبلها ومما يذكر انها مثلت على مسرح الاوبرا بفينا خمسمائة مره وهو نجاح لم تسبقها اليه أية روايه أخرى

وقد كان من المدهش حقاً الا توجد هذه الرواية بالعربيه مع العلم بانها شرقية وتاريخية وجاء ذكرها فى القرآن الكريم وفى كتب الاقدمين لذلك بادرت الى تعريبها كى لا يحرم القراء مما فيها من عظات والله الموفق إلى سواء السبيل ؟

المعرب

الفصل الاول

تقديم الملك

والملك هنا هو سليمان الحكيم الذي أصبحت كلمة (الحكمة) لزام اسمه الكريم والذي حباه الله بنعم لم يسبغها على سواه من قبل ولا من بعد فلكه على الانسان والحيوان وأخضع له الطير والجان

فهو يفهم لغة الطير وهو يسخر الجان لمقاصده وما رآ به ويجندهم جنودا على اعدائه فيسحقهم سحقا

وسليمان هو ابن داود ولما دعا على الله أن يهديه الطريق القويم وينعم عليه بسداد الرأي وانتهاج جادة الحق والصواب فاستمع الله دعاءه وأجاب ملتمسه ومنحه الحكمة وسداد الرأي وانعم عليه بعد ذلك بكنوز من الذهب لاتفني أبدا وأقامه حاكما عادلا على اورشليم

وقد خضع له الملوك أجمعون وراحوا يتوافدون على مقر ملكه يقدمون له فروض الطاعة ويحملون له الهدايا من اجل وابدع ما صنع الصانعون في بلادهم

وكيف لا وهو صاحب البطش بين ملوك الارض جميعا اذا غضب غضبت العناصر لغضبته أو جند جيشه تجندت معه البوادي

بما فيها من انسان وجان

* * *

ولم يشذ من هؤلاء الملوك جميعاً غير واحدة هي بلقيس ملكة سبأ التي كانت مضرب الامثال في الجمال وكانت بلادها مضرب المثل في الغنى والثراء ووفرة الخيرات

فبينما جميع الملوك يقدمون طاعتهم لسليمان كانت بلقيس تشمخ بانفها وتستنكر المثول بين يديه والاعتراف بقوته وجبروته

كان اكثر اعتمادها على ما وهبها الله اياه من حسن وسحر فهي تظن ان سليمان هو الذي يجب عليه ان يقدم فرائض الطاعه لجمالها

ولكن سليمان يأبى الا أن تسجد بين يديه فلما تلكأت وتوانت صمم ان يرسل اليها رسله لآخر مره وكان لسليمان نديم يقال له اسعد وهو شاب في مقتبل العمر جبار الجسد تلوح عليه مخائل الذكاء والرقه فوقع اختيار سليمان على هذا النديم ليكون رئيساً للوفد المزمع ارساله الى سبأ ليدعو الملكة الى تقديم فروض الطاعة والولاء لسليمان ملك الملوك ورمز الحكمة

ويقول بعض المؤرخين ان سبأ كانت في ارض الحبشه ويقول البعض الآخر انها كانت في الاقليم المعروف الآن باسم لبنان وكان هذا الاقليم ولا يزال حديقة غناء وستاراً لا يذوى ابداً

تانفواكه والزهور واشجار السنديان والصنوبر

فبعد سفر شاق علي ظهور الابل بين اورشليم ولبنان وصل الوفد أخيرا الى مملكة سبأ

وكانت السفرة في منتهي المشقة والقساوة وكادت الابل مرارا ان تهلك لولا لطف الله

ولم يكن يرفه عن القوم غير مجون اسعد ورقته

كيف لا وهو شاب فى مقتبل العمر حلو الحديث جميل الدعابة ثم هو بعد ذلك رخيم الصوت وكثيرا ماكان يطربهم بمقطوعاته البدوية فيرن صوته العذب فى جوف الليل القمر الهادىء ويسمع رفاقه ترديد صوته فيطربون وأى طرب

وكان السبب لاكبر اسرور اسعد وجذله ان الملك وعده أن يزوجه بعد عودته من هذه المهمة من سلمى ابنة بعل حنان كبير الكهنة

وكانت سلمي مضرب الامثال فى الجمال والطهر والعفة وعراقة الاصل وكان سليمان يحبها حب الوالد لابنته ويعطف عليها لذا لم يجد هبة يقدمها اليها خيرا من أسعد نديمه وهو يعلم انه الزوج الذي يصلح لها فهو وديع وكريم وشجاع

لهذا كان اسعد طروبا اثناء تلك الرحلة يتبسم لكل شيء

ويضحك لكل دعابة بينما يكاد الواحد من الآخرين ينفجر غيظاً وحنقاً وينشق تعباً وعياء

وصلت البعثة أخيراً الى جبل لبنان حيث اشجار الصنوبر والسنديان تصفر الريح فى أغصانها

...

وكان جبل لبنان ولا يزال الى الآن روضة مزدهرة فى بادية العرب

وكانت بلقيس هي الحاكمة بأمرها في هذه الروضة الغناء ورعيتها تطيعها طاعة عمياء وتخلص لها حتى ظنت المرأة ذات العالم اجمع يجب ان يطأطىء الرأس لسلطانها فهى لذلك لم تعبأ بسليمان ولم تبادر الى تقديم فروض الطاعة له كما فعل غيرها من الملوك وسادة القبائل

ولعلها كانت تقول فى نفسها وهى لا تجهل قوة سليمان وجبروته انها تستطيع بأى حال من الاحوال ان تتغلب عليه وتخضعه لسلطان جمالها

وكان المشهور في ذلك العهد أن بلقيس هي أجمل امرأة على سطح الارض وطالما جاءتها الوفود من ملوك عديدين ليخطبوا ودها فكانت تشمخ بأنفها وترد خطابها خائبين

أشرف الوفد كما ذكرنا على جبل لبنان وبدأ أسعد يستنشق
بملء رئتيه نسيم تلك الروضة الفيحاء بعد أن لاقى الامرين من
حرارة البادية أثناء النهار وقرها أثناء الليل

كذلك بدأ يسمع أغاريد الاطيار فوق غصون الاشجار
فكانت تلك الاغاريد الجميلة والترانيم الطبيعية الهادئة الساحرة تثلج
صدره وهو الذي قضى شهرا في البادية لا يسمع غير نعاب الغربان
فوق فسائل النخيلات القليلة التي كانت تصادفه في رمال الصحراء

وأخذت البعثة تجتاز مضارب العرب ومنازل الاسر الكبيرة
المحيطة بقصر الملكة حتى أشرفت أخيرا على ذلك القصر المشهور
الذي يضم بين جدرانه تلك المخلوقة البديعة التي كان مشهورا عنها
أنها اجمل امرأة على سطح الارض قاطبة

...

ويقال ان القصر كان من المرمر وأن الحدائق الملتفة حوله
كانت غاية في الابداع

ومما يمكن من الامر فان اسعد ورفاقه بهتوا عند رؤية ذلك
القصر

وكان الخدم والحراس يرمقونهم شذرا ولم يكونوا قد طبعوا
بعد على ذلك الكرم العربي الذي صار فيما بعد مضرب الامثال

كانوا يرمقون الغرباء شذرا لعلمهم انهم ولا بد موفدون من عند ملك من الملوك الذين يطمعون فى مليكتهم

فلما اقترب اسعد واصحابه من القصر خرجت لملاقاتهم ثلة من الحراس وفى ايديهم الحراب وعلى رأسهم شاب رشيق بدل وجهه البسيط على اللطف والدعة

وكان هذا الشاب هو قائد حراس المليكة فتقدم من الجماعة وقال لهم

— من السادة ؟ ؟

فبرز له اسعد وقال

— ضيوف غرباء

قال الشاب

— اهلا بهم وسهلا

قال أسعد

— وقد كلفنا بتأدية رسالة الى ملكة الملكات وربة الجمال بلقيس صاحبة سبأ

قال الشاب

— وهل لى ان اعرف مضمون الرسالة لابلغ مولاتي ؟

فاجابه اسعد

اذن فتكرم وابلغها اننا نحمل اليها رسالة من سليمان صاحب أورشليم

فاحنى القائد الشاب قامته باحترام عظيم ورفع المزراق حرابهم علامة التحية والسلام

ثم قال القائد الشاب

— تفضلوا على الرحب والسعة ستسر مولاتى بقدومكم غاية السرور وان تقصر لمن يقصر فى تكريمكم والترحيب بكم

ودخل بهم القائد الشاب . واجتاز معهم البوابة الكبيرة وتخال بهم الحدائق الغناء ... فكان اسعد يجيل الطرف حوله يمنة ويسرة . ولا يرفع عينيه عن زهرة جميلة . . الا لينظر بها الى فاكهة ناضجة..

ثم همس فى اذن احد رفاقه :

— هذه ولا ريب جنة الله على الارض

— ورغم انه قال ذلك بصوت خافت الا ان القائد الشاب سمعه فابتسم وقال :

— نعم ان مولاتى تهتم غاية الاهتمام بحديقتها

— فقال اسعد

— بل قل بفردوسها فما اظن هناك فردوسا أمتع من هذه ولا اكثر منه جمالا

وبعد ان اوصلهم القائد الشاب الى احدى غرف الاستقبال، خرج وهو يقول

— ها قد أرسل سليمان رسله وهو الآخر كغيره من الملوك

* * *

وجلس أسعد وأصحابه فى القاعة التى ادخلهم فيها ذلك القائد الشاب وأخذ يجيل الطرف حوله فى جدرانها الموشاة بالذهب ومافيها من التماثيل التى تمثل اسلاف بلقيس واجدادها الملوك العظام

وعاد القائد الشاب بعد بضع دقائق وقال

— مولاتي تقرئكم السلام وترحب بكم وتنزلكم من قصرها على الرحب والسعة وترجو ان نعلم باسرع ما يمكن رسالة سليمان الحكيم سيد ملوك الارض

فقال اسعد

— ان الرسالة التى احملها من مولاي الى سيدتك تخصها وتهم أفلا أستطيع مقابلتها لافضي اليها برسالتي ؟

فغاب الضابط فتره اخري من الوقت ثم عاد يقول

تأسف مولاتى كل الاسف لانه ليس من عادتها ان تقابل الرجال

وهي تلتمس ان تمتبروني كشخصها وتسروا الى مهمتكم

فقال اسعد

— اذاكان ذلك كذلك فارجو ان تبلغ جلالتها بان مولاي ينتظر تشريفها بفارغ الصبر واذا كان هناك ما يحول دون زيارتها قبل الربيع القادم فانه يبادر بنفسه الى المثول بين يديها بحرسه الكبير

...

وقد نطق اسعد بالجملة الاخيرة بشكل خاص لا يترك مجالا للشك فى المعنى المراد

فقطب القائد الشاب حاجبيه ثم أحنى رأسه باحترام شديد وقال: سأبلغ جلالتها ذلك ـ وخرج

...

وفى هذه الاثناء اقبل خادم زنجى يحمل عصير العنب في كؤوس من الذهب الخالص فشرب اسعد ورفاقه مما لم يشربوه من قبل فيما انقضى من أيام حياتهم

ولولا الحياء لتجرأ اسعد وطلب المزيد

ولكن القائد الشاب كان قد عاد نحملق أسعد في وجهه محاولا ان يتغلغل فى اعماق نفسه ليعلم أى جواب يحمل أجواب السلام أم جواب الحرب

قال القائد :

— بعثت رسالتكم لجلالة الملكة وستزودكم بالرد عند ارتحالكم عنا بعد اقامة طويلة سعيدة

فنهض اسعد وهو يقول :

كلفني مولاي ألا أطيل الاقامة وأمرني ألا أقبل ضيافة الاعداء.

...

ففهم الضابط ان اسعد يريد الجواب في الحال . فاما ان تخضع بلقيس وتعد بتقديم فروض الطاعة لسليمان فيمكث اسعد ورفاقه في ضيافتها اذا الحت عليهم بذلك واما ترفض فيرجع الفتى ورفاقه في التو واللحظة ويبلغ مولاه نتيجة مهمته فلا يكون بعد ذلك مناص من الحرب ويخرج سليمان (بحرسه الكبير) او بالاحرى جيشه الجرار ويجتاح بلاد هذه المملكة العاصية

...

وخرج القائد مرة أخرى ثم عاد ثانية وهو يقول :

— مولاتي تعد بزيارة سليمان قبل حلول الربيع

فتهلل وجه اسعد وكان يشفق على هذا القصر الفخم وتلك

الربوع الخضراء والبساتين الزاهرة من أن تخربها الجيوش والجياد

قال :

ــ فى هذه الحالة لا يسعني الا شكر جلالة الملكة

فقال القائد

ــ جلالتها تلحف عليكم بالبقاء هنا لتنالوا قسطكم من الراحة بعد ما تحملتموه من مشاق السفر

...

وجيء لهم بطعام فاخر من لحوم الصيد

واشترك معهم القائد الشاب فى تناول الطعام وقال

ــ هذا من صيد مولاتى الملكة

فقال أسعد

انها تصطاد اذن ؟

فقال الشاب وعيناه تلمعان باعجاب

ــ انها برعت فى هذا الضرب من الرياضة كل البراعة

وهنا شمر أسعد عن ساعديه وأخذ يلتهم اللحم بأكثر همة

الفصل الثانى

حورية الجنان

بعد ذلك الطعام الجيد الذي امتلأت به بطون الاصحاب وبعد الراحة التي تفعلت كالسحر فى ابدانهم بدأوا يشعرون بالرغبة في النوم

اما اسعد فكان شعوره بالفضول والرغبة الى معرفة كل ركن فى ذلك القصر يغلب كل شعور آخر في جسده

فلما نام اصدقاؤه تسلل هو ببطء وانطلق فى الحديقة وراح يتنقل بين اشجارها ويعجب بكل ما يراه من نظامها وجمال ورودها وما فيها من فاكهة ناضجة

وكان الوقت ظهرا تقريبا وقد اعتاد سكان البوادي ان يضطجعوا ظهرا فرارا من حرارة الجو فشعر اسعد حوله بسكون هائل وخيل اليه انه وحيد في تلك الحديقة وان القصر لا يضم بين جوانبه مئات الخدم والحشم رجالا ونساء

...

أخذ يقتطف زهرة يانعة من كل شجرة ويجمعها في يده في شكل باقة انيقة ثم قال في نفسه

— ساحمل هذه الباقة الى سلمى الى حبيبتي سلمى

وسوف تكون هذه الورود عند وصولي اليها قد ذبلت ولكن ذلك
لا يمنعها من ان تكون هدية ثمينة من مملكة سبأ الى روسي الجميلة
وعند ما تذكر سلمى اخذ يقتطف الزهور بهمه ونشاط
نعم كانت سلمى هى غايته من الحياة
وكان وجهها الجميل ماثلا امام عينيه ليل نهار فهي ملاكه
الحارس الذي كان يرشده فى الباديه وهي مدار احلامه وآماله
وما زال ينتقل بين الاشجار كما ينتقل الطائر الفرد بين اغصان
الاشجار حتى خيل اليه انه يسمع حركه غريبه توقف فجأة

. . .

أصاخ السمع واخذ ينصت
كلا لم تخدعه اذناه
هذا صوت طائر او حيوان يضرب الماء بجناحيه أو رأسه
ولكن أين يوجد هذا الماء وهو لا يري نهرا يجرى ولا عينا
تسيل

. . .

وعرف أخيرا مصدر الصوت فاتجه نحوه
وعلى حين غرة رأى خيوطا كانها من الفضة تتألق في ضوء
الشمس الهادئه
ترى ما هذه الخيوط الفضية ؟؟

آه هذه خيوط من الماء تنبعث من نافوره

ومشي الى الامام

ياالله ماذا يرى ؟؟

حوضا من الماء قد قطع من المرمر او الرخام

وفي وسطه امرأة بل حورية بل ملاك

جسدها كالبلور

وشعرها حالك السواد كأنه قطعة من الليل

وعيناها سوداوان لامعتان كأنهما من الماس الازرق

وهى تسبح فى الماء وتلعب فيه كالطير الطروب

...

وقف أسعد مشدوهاً وفتح فمه شأن المدهوش الذى لا يعلم

هل هو في حلم ام فى يقظة

ولم تشعر به المرأه بادىء ذي بدء ولكنها رأته أخيراً

وخرجت من فمها غمغمة تدل على الدهشة والامتعاض وقطبت

حاجبيها ثم عادت فبسطتهما وابتسمت

ولم يشعر اسعد الا وهو يشرف فوق جسدها اللين البض.

بانة الزهور الى جسمها العروسه سلمي

وعند ما رجع أسعد الى اصحابه كان مذهولا سليب اللب

وجدهم نياما

فهل كان هو ايضا نائما ؟ ؟

وهل ينتظر حتي يستيقظوا ثم يقص عليهم حلمه الجميل

لعلهم رأوا مثل هذا الحلم أيضاً ولكن لا انه لم يكن نائما

ولا كان حالما

...

ومنذ ذلك اليوم واصحابه يلحون عليه بوجوب العودة الى

سليمان وهو يتظاهر بالتعب والتوعك وانحراف الصحة ويتسلل

كل يوم عند الظهر تماما ويمشي قاصدا تلك المقصورة ليرى تلك

الحورية التي ملكت عليه لبه وأسقمته غرامها

ولكن بدون جدوى كان حلما وتبدد

حاول مرارا أن يعرف من هي ولكنه لم يجد الجرأة على السؤال

خوفا من اثارة الشبهات

وما زال اصحابه يلحون عليه بوجوب العودة وهو يتملص

وينتحل الاسباب

ومع أن اهل القصر كانوا يبالغون في اكرامهم الا انهم كانوا

يشعرون بان اقامتهم قد طالت اكثر من المدة المقررة لها

وأخيرا قال احدهم لاسعد

ــ اذا كنت لاتزال متوعكا ــ وهو الواقع لما اراه على وجهك من علائم الشحوب والهزال ــ فاننا سنضطر الى الرحيل وتستطيع ان تلحق بنا فيما بعد حين تسترد قوتك . ثم أردف مبتسما

ــ كان ينبغي ان تكون أشدنا رغبة في العودة الى اورشليم اذلا أحد منا تنتظره مثل صاحبتك سلمي

فحملق اسعد في وجه الرجل بشيء من الانذهال

! سلمي نعم سلمي انها تنتظره فليذهب اليها لعله يجد بين احضانها شيئا من السلوى ولعله ينسى بهاتلك الحورية التي رآها مرة واحدة فملكت كل جارحة في جسده

نعم انه نسي سلمي فما ابعده عن الوفاء ؟؟

قال لصاحبه :

ــ كلا لا طاقة لي على البقاء وحدي ولا على السفر بمفردي واذا كنتم قد عزمتم على الرحيل حقا فخذوني معكم .

واستأذنوا في الانصراف فحملتهم الملكة لمليان عددا كبيرا من الهدايا الثمينة

ثم امرت حراسها ان يتبعوهم ويقوموا على حراستهم حتى يغادرون الجبال

وكذلك رجعوا من حيث اتوا ولم يكن أحد بينهم ذلك الشاب الطروب الذي كان يضحك ويلعب ويغني اثناء مجيئهم كلا فقد تبدل حاله وهزل وشحب لونه ولزم الصمت المطلق فلم يكن يتكلم الا قليلا وصار يقضي سحابة نهاره وطوال ليله ساكتا ساهدا ينظر الى السماء ويناجي النجوم في سره

كل ذلك واصحابه يتساءلون ترى ماذا دهاه

وتجرأ احدهم في يوم ما وطرح عليه هذا السؤال

وكان اسعد يود من كل قلبه ان يحدثهم بقصته لأن في ذلك مجلبة للسلوى والعزاء

ولكنه عاد فلزم الصمت فقد كان يخشى ان يهزأ به اصحابه ويتهكمون عليه

وكيف لا يهزأون برجل رأى امرأة مجهولة مرة واحده فوقعت في قلبه مثل هذا الوقع لذي اسماه الفتاة الطاهرة الوديعة سلمى

« * »

ولما وصل أسعد واصحابه الى اورشليم كان الاول قد اصبح اشبه شيء بهيكل من العظم

وقد قصدوا توا الي سليمان في قصره العظيم

وكان الملك يقضي كل وقته في ذلك القصر للقيام باعباء

الملكة يحيط بها كبار رجاله ورئيس الكهنة وغيرهم

الفصل الثالث

سليمان الحكيم

واستأذن اسعد واصحابه في الدخول فاذن لهم الملك وبادرهم بقوله . . اهلا بالرفاق انى اقرأ على وجوهكم نتيجة المهمة التى أوفدتكم فيها الى بلقيس

ثم انثنى عنهم الى قضية هامة كان يعرض عليه الكثير من امثالها فى الاهمية فى كل يوم

كانت بين يديه امرأتان تحمل احداهما طفلا رضيعا

وكان هذا الطفل موضع النزاع بين الاثنتين

قال سليمان للتي تحمل الطفل ماقصتك أيتها المرأة ؟؟ فاجابت

ليس ابسط منها يا مولاي انى كنت حاملا من زوجي وقضيت مدة الحمل تسعة شهور لا تنقص يوما واحدا واول من امس وضعت هذا الطفل ونظرة واحدة الي وجهه تنبيء مولاى بانه طفلى فهو اشبه شيء بى وبابيه واذا اراد مولاى فان زوجي في المنزل على استعداد للقدوم

فقال سليمان

لاحاجة لي بزوجك ايتها المرأه ثم انثني الي الاخري وقال

وما قصتك ؟؟

فاجابت المرأه بصوت تسيل منه العبرات

مولاي قد تكون ... وانا فى الوقع شديدة الحيرة فقد حملت

انا الاخرى من زوجي واستكملت مدة الحمل تسعة شهور لاتنقص يوما واحدا

وفاجأني المخاض أول من امس ولم يكن بقربي احد وكانت

هذه المرأة هي اقرب الناس الى فهي جارتي ولكنها كانت تعانى

آلام المخاض هي الاخري

وأقول الصدق يامولاى أنى لولا ورطتى وانحلال قواي

واشتغالى بنفسي عن كل ماسواها لبادرت اليها واسعفتها بقدر ما

استطيع وبقدر ما تسمح لي قواى المنهوكه

على انى كنت في حالة يرثي لها فبعد ان عانيت من المشاق

ما عانيت وضعت هذا الغلام . هذا الغلام بعينه وتزودت منه بنظرة

واحدة . نظرة واحدة فقط ثم اغمي على

ولكن صورته انطبعت على صفحات قلبي

ثم انظر اليه يامولاى انه اشبه ما يكون بي

قال سليمان — ثم — . ولكني عندما استيقظت وجدت بالقرب مني

طفلا آخر ميتا ولم أجد الطفل الذى وضعته الطفل الممتلىء صحة وحياة وعافية. الطفل الهادىء الباسم الجميل الذي رأيته لحظة واحدة

على انى استسلمت لقضاء الله وقدره

وذهب زوجي بالطفل فواراه التراب ثم خطر لى اليوم ان أزور جارتى لاطمئن عليها

وما كدت ادخل حتى سمعت صوت هذا الطفل وهي مكبة عليه تناغيه وتداعبه

فلما وقع بصرى عليه تذكرت ولدى في الحال

كان هو بعينه . . واول دقيقة ترى فيها الام ولدها بعد وضعه توا لا يمكن ان تمحي مطلقا من ذاكرتها

فهتفت فى الحال . . هذا ولدى . . فصاحت جارتى . . كلا واردت ان آخذه قوة وقهرا وراحت هي تدافع [illegible]

وهي [illegible] زوجها

ان [illegible] ولاى وعمله

وبعد [illegible] سليمان كلام المرأتين بقياس حكمته اشار الله بعل حنان كبير الكهنة بالاقتراب ثم انحني عليه من فوق عرشه الذهبي وهمس فى اذنه . هذا الطفل هو ابن هذه المرأة

ثم اراد ان يبرهن على ذلك فاطرق برأسه الى الارض فترة

من الوقت والقوم من حوله سكوت لا ينبسون ببنت شفه كأن
على رؤوسهم الطاير

ثم عاد فاصدر امره مرة اخرى الى بعل حناف

فخرج الكاهن الكبير وغاب لحظة ثم عاد يحمل في يده سكينا
كبيراً لدنها لسليمان فتناولها هذا ببطء ثم نهض عن عرشه وقال

للتي تحمل الطفل

هاتي الغلام

فتقدمت اليه الطفل وهى باسمة غير عابئة

قال سليمان ببطء وهو ينقل بصره بين المرأتين

سآمر [illegible] السكين واقسمه شطرين تأخذ كل [illegible] شطرا

فقالت التي كانت تحمل الطفل. هذه قسمة عادلة

أما الا [illegible] الكلمات

حتى [illegible] ترتمي فوق [illegible] الجميل

وعند [illegible] سليمان صاحت صوت لاهث

[illegible] اضرع اليك ألا تفعل

لا تقتل الغلام [illegible] اتركه لها نصيبي فيه

فقط يعيش الغلام

فالقى سليمان السكين وحمل الغلام وقدمه لهذه الام الوالهة

وهو يقول انه ابنك ايتها المرأة فخذيه

ثم التفت الى الاخرى وقال

واما انت فقد سرقتيه من احضان امه وسينزل بك عقاب [illegible] او [illegible]

« * »

وها خر الجميع سجدا بين يدى الملك العادل الحكيم

« * »

اما المرأة السارقة وقد صرت [illegible] الذي به زوجها على الا يقترن من سواها فقد اهملها زوجها [illegible] انتقاما للاهانة التى لحقته من كذبها [illegible]

فعاشت ما بقي من ايام حياتها في بؤس [illegible] واصيبت اخيرا بمرض الجذام فشوه حياتها كما كانت تريد ان تشوه حياة تلك الام الحقيقية البئيسة

الفصل الرابع

العرس

والتفت سليمان الي [illegible] وقال بصوت ملؤه الحنان

تعال يا اسعد ماذا فعلت وماذا تحمل من الاخبار

فاجاب أسعد :

مولاي: انني قمت بالمهمة خير قيام وقد وعدت بلقيس صاحبة سبأ ان تكون هنا قبل الربيع

ولما كنا قد صرفنا فى سبأ وفى الطريق اثناء عودتنا وقتا كبر مما كان مقدرا فاغلب ظني ان لقبس ستكون هنا بعد ايام قلائل

وقد كلفتنا ان نقرىء مولاي السلام وحملتنا اليه طائفة من الهدايا من اجل ماصنع الصانعون فى سبأ

وقد لاحظ سليمان فى الحال مايلوح على وجه نديمه من علائم الشحوب والهزال والامتعاض فقال

وانت ماذا بك ؟ ؟

ـ لاشىء يامولاى

ـ اراك هزيلا نحيلا، اراك غير اسعد الطروب الذى اعرفه

ـ مولاى ان مشقات السفر وعناء الارتحال فى الصحراء المقفره واحتمال حرارة الجو نهارا وبرودته الشديدة ليلا

فقاطعه سليمان :

ـ نعم كل ذلك من شأنه انهاك القوي

ثم يلوح لى من ثيابك المشعثة انك عائد لتوك من السفر فلم تذهب الى غرفتك ولم تغتسل وتستبدل ثيابك

ـ نعم يامولاي

ـ اذن فاذهب يابني ان سلمى تنتظرك على احر من الجمر

وابتسم ابتسامة ذات معنى

وكان الملك ينتظر ان يكون لاسم سلمى فعل السحر في نفس اسعد

ولكن هذا الاسم الذى كان عزيزا في احد الايام لم يؤثر بالفتى أي تأثير

اما بعل حنان فانه قال ،

نعم انها تنتظرك على احر من الجمر

ثم تناول ساعده وخرج به من بين يدي سليمان ليبرهن له على ان سلمى تنتظره حقا

وما كادا يدخلان معا بعض اروقة القصر ويشرفان على الجناح الخاص بالحريم حتى خرجت اليهما سلمى في ثلاثة من الوصيفات ـ وهن جميعا في ثياب بيضاء هي رمز الطهارة والعفة

وكن يحملن زهورا وورودا وكانت سلمى بينهن كالزهرة اليانعة التي لم تتفتح كمامها بعد

اقبلن وهن ينشدن الاناشيد العذرية لاستقبال اسعد

ولكن الفتى كان مشتت الخاطر ولقد لاحظت عليه سلمى ذلك فاقبلت نحوه وشدت على يديه وقالت له

ماذا بك يا اسعد الست مسرورا بالعوده الى الوطن

ـ بلى انى مسرور

و لماذا؟

ـ وسروري شديد بلقائك

فهتفت : ماذا بك يا اسعد

ثم التفتت الى العذارى وقالت لهن اصمتن فاسعد يتعض من النشيد

وهنا اشاح الشاب وجهه كى لا تلتقي عيناه بعينيها

قالت : ما بك يا اسعد وما بال وجهك متجهما

لماذا لا تنظر الى بعينيك الصافيتين الطروبتين!!

هل تعانى من مرض ؟؟

ـ كلا ولكنى منهوك القوي من هذه السفرة الطويله

قالـ

[illegible]

لا تقبل عروسك عند عودتك قبلة السرور والابتهاج

لماذا لا تقبل جبينها قبلة طاهرة شريفة

فانحنى عليها اسعد وطبع على جبينها قبلة أردة

وهنا شعرت الفتاه كأن قلبها يتمزق

نعم انها كانت تحبه بكل قوتها وكل كينونتها

ركعت تحت قدميه

- يا أسعدي يا أسعدي ماذا بك هل تنوي ان تهجرني؟

فقال الفتى بحزن وأسى

لا تسأليني ماذا بي. لا تسأليني ماذا حدث . واجتهدي أن تنسيني. نعم اجتهدي في ذلك وافترضي أني مت

فهتفت

- لا. لن افترض هذا الفرض

مادمت على قيد الحياة فانت لي ولي وحدي بل ان الموت نفسه لن يقوى على الحيلولة بيننا

وكان بطل جالساً واقفاً على مسندة يلاحظ هذا المنظر وقلبه يكاد يتفطر حزناً وأسى وهو يرى الدموع تتدحرج على وجنتي ابنته أنها اللؤلؤ المنثور

على انه مالبث حتى شعر باقتراب سليمان الملك فهتف

- الملك . . . الملك . . .

وحينئذ صمت القوم جميعاً ونهضت سلمى وارخت قناعها الشفاف على وجهها الجميل

ودخل سليمان وكان يرتدي ثوباً فاخراً ولكن التاج لم يكن يكلل جبينه

وعند دخوله ركم الجميع وظل أسعد وسلمى ووالدها واقفين وكان أسعد مشتت البال وسلمى مبللة الوجنتين بالدموع وواقفة بالقرب من والدها كالحمامة الجريحة

وما لبث سليمان أن شعر بهذا الجو الحزين فدار ببصره حوله بشيء من الدهشه

ثم قال

— ماذا حدث كأني بالطير على رؤوسكم

—ماذا بك يا أسعد؟؟

انك صامت وما كان ذلك عهدي بك

—عهدي بك طروب لا تبارح الابتسامة شفتيك فماذا دهاك؟

وانت يا سلمي ياذات الابتسامة الهادئة الوديعة

أرى الدموع تبلل وجنتيك فماذا دهاك يا ابنتي

فالقت الفتاة نفسها عند قدمي الملك

ولكنها لم تنبس ببنت شفة

فقال الملك

— كلا لا أسألكم عما حدث أني اعرف كل شيء انصرفوا جميعا وانتظروني في الغرفه المجاورة أما انت يا أسعد فابق معي أريد أن احدثك

فنهض الجميع وغادروا الغرفه ببطء كأنهم يقتلعون اقدامهم من الارض اقتلاعا

وظل أسعد على مقعده وزجومه وصمده الملك بنظره طويلة ثم قال بصوته الحزين

ـ أسعد

اني أقرأ على قلبك ما تصمت عنه شفتاك

أنا أعرف كل شيء يا أسعد

انك أحببت سلمى في أحد الايام

فاطرق أسعد برأسه علامه الايجاب

قال سليمان

ـ وقد رغبت في الاقتران بها

فاجاب أسعد بصوت خافت

ـ نعم

قال سليمان

ـ ان حبك اعتراه الفتور منذ رحلت

...

وهنا لم يستطيع أسعد ان يصمت أكثر من ذلك فرفع رأسه وقال لسليمان الحكيم

ـ مولاي أنت احكم الملوك قاطبة انك تات الحق لانك تعرف مكنونات النفس البشرية وتقرأ الضمير الآدمي

كل الخيرات على الارض وفي السماء ما بينهما وما بعدها ملوك وتخضع لك

ثم القى نفسه تحت قدمي الملك وهتف من اعماق قلبه المتألم

ـ انقذني يا مولاي . انقذني والا فالويل لي

. . .

فقال سليمان

ـ قل لي ماذا حدث لك اخبرني بكل شيء

فنهض أسعد ولزم الصمت لحظة ثم راح يتكلم بصوت هادىء عذب كأنه يحلم

ـ مولاي اني قائد حاشية الملكة فوق جبل لبنان ونقلت اليها أوامر مولاي

ولكن أحدا منا لم ير الملكة فقد قالوا أنها لا ترفع قناعها الا امام ملك يا مولاى

وفي اليوم الاول من وصولنا تركت رفاقي نياما وخرجت وقت الظهر طلبا للنزهة والتماسا للهواء الرطب في حديقة القصر وهناك في تلك الحديقة الغناء التي حوت كل فاكهة وكل زهرة

هناك اضطجعت فوق الحشائش الخضراء المزدهرة في تلك الوحدة الهادئة وجعلت أجيل الطرف حولى وأسبح باسم الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون الساحر

. . .

وفيما انا كذلك اذ سمعت على مقربة منى خرير نافورة ترسل ماءها الى حوض

ولذت لى نغمة الماء المتساقط فى الحوض

فنهضت لارى هذه النافورة

وما كدت اقترب منها حتى خرج منها جسد

ماشاء الله الخالق اكمل هذا الجمال الذي يأخذ بالابصار

. . .

رأيت جسدا يخرج من الحوض

كان أبيض كالمرمر

خرجت من الماء امرأة جميلة كالفردوس وجعلت تستريح على حافة الحوض

كان شعرها يحجب عنقها كما تحجب خيوط الابنوس قطعة من العاج الاماس

وكانت عيناها تتألقان في ليل الاهداب

وكانت وجنتاها كوردتين جيلتين تحرسان عقد اللؤلؤ
الذي في فمها
وكان دراعاها كأنهما من الزئبق الابيض الجميل

...

وقفت متردداً أمام هذه الثروة التي لا تفني من الجمال والفلاء
واقتربت منها فلم تهرب ولم تحاول الابتعاد او الموص بها.
وازدادت اقترابا
وأقبلت عليها فلم تمنعني بل ظلت تنظر الى بشكل عجيب
النسير
ثم راحت تعانقني وتقبلني وتضمني الى صدرها الناهد بين
نهديها الساحرين
كل ذلك وانا بين يديها كالطفل المريض
لا أدري ماذا افعل ولا اذكر الآن ما كان يجول بخاطري
في تلك الساعه
ولكني ادري انني جثوت تحت قدميها وحاولت تقبيلها
وأنا في شبه غشية أو اغماء

...

على ان هذا الحلم السعيد لم يدم طويلا

فاما ما ابثنا حتى سمعنا بغتة جلبة وضوضاء

فنزع ذلك المخنث وهرب منى

ولست اعلم حتى الساعة هل كان ذلك حلما أم كان حقيقة

مرئية أم كانت [illegible] من تخيل المحموم

وهنا اطرق سليمان الحكيم رأسه ثم قال بصوت حنون كصوت الأب الشفوق وهو يعاتب ولده المذنب في غير شدة ولا قساوة

قال: انت دائم تحت تأثير سحر مخيف

وانا لا أستطيع ان انقذك رغم قوتي

ولكن [illegible] قوة تفوض أمرك الى ربي وهو يخلصك من شر ابليس

فقال أسعد

ـ انقذني يامولاي وارفع هذه الغشاوة عن عيني وهذا الغطاء عن قلبي وصدري

أنقذني بحكمتك يامولاي ودلني على سبيل النجاة من هذه الفتنة التي حلت بي وقصت جفوني وحرمتني لذة النوم

فقال سليمان

أتريد نصحي ؟

فهتف أسعد

- إنى التمستها

- وتنوى أن تعمل بها ؟

- فى التو واللحظة

فقال سليمان - اذن فانا أشير عليك أن تقصى من ذهنك ذكريات تلك الرحلة وتسدل ستار النسيان على الحلم الفاضح الذى تراءى لك

ثم تذهب مع عروسك الطاهرة الى الهيكل المقدس وتزف اليها

وهناك تزول عنك المحنة ويهبط على قلبك العزاء والسلوان

فصاح أسعد :

- سأفعل يامولاى سأفعل

فقال سليمان :

- ثم عليك بعد ذلك ان تعتمد على الله

- سأفعل يامولاى سأفعل

الفصل الخامس

ملكة سبأ

وأقبل الفرسان يحملون بشرى قدوم ملكة سبأ العظيمة لتقدم فروض الطاعة والولاء لسليمان كبير الملوك

ودخلت حاشية الملكه وأقبل العبيد والجوارى يحملون

أباريق الذهب ملأى بالاحجار الكريمة والجواهر .

ودخل هودج الملكه تحف به الحاشيه

ولم يكن فى الهودج مع الملكة غير وصيفتها الامينة استاروث

فاسرع عبيد سليمان وامسكوا بالجمال

واسرعت نساء سليمان وساعدن الملكة على النزول

ثم قابلوها بالرياحين واستقبلوها بالاناشيد

ولم يكن نشيدهن غير هذه الكلمات في انغام ساحرة جميلة

تأخذ بمجامع القلوب

السلام على ملكة سبأ

شمس الظهر وكوكب جزيرة العرب

مرحبا بها فى قصر الولى

السلام على ملكة سبأ العظيمة

« * »

وما هى الا لحظة حتى اقبلت حاشية الملك

ثم دخل سليمان يلبس ملابس الملك وعلى رأسه التاج

وخلفه بعل حنان واسعد وسلمى

وكانت سلمى تمشى الهوينا بجانب اسعد وهى تنظر بانها

هنا مخلوقة على سطح الارض قاطبة فقد عاد اليها أسعد وطرد من رأسه تلك التأملات الخيفة وراح يتحبب اليها من جديد

وكانت الملكة ترتدي ثوبا فاخرا محلى بالذهب والاحجار الكريمة وقد اسدلت على وجهها الجميل قناعا موشى بالذهب ايضا يخفي كل ملامحها

قال سليمان :

ـ مرحبا بالضيفة الكريمه

ومد اليها يده الملكية

واردف :

ـ اهلا بك في بلاد سليمان

ان سليمان يضع تحت قدميك كل بلاده

ولوح بيده نحو الافق فاجابت الملكه برشاقه : السلام عليك ياسيد الملوك

ثم ردت يدها الى الهدايا واباريق الذهب والاحجار الكريمة وقالت : تحت قدميك كل ما يزين مملكتي

وعندئذ أقبل العبيد والجواري يضعون الهدايا تحت قدمي سليمان وأردفت الملكة وهي تسمي كل هدية : روائح العطر التى جلا شذاها هواء جزيرة العرب واللآلىء الكريمة التي تولد في

وهاهم ابناء جزيرة العرب ساجدون تحت قدميك
خذهم جميعا يامولاي انهم خدمك وعبيدك
ثم انظر بعد ذلك مالم تره عين مخلوق من قبلك
انظر الى وجه الملكة

ورفعت القناع الذهبي عن وجهها المشرق فانحنى سليمان
والحاشية قاماتهم امام هذا الجسد الملائكي
ولكن اسعد وحده لم يحن قامته ولم يفعل فعل الآخرين
كان يحملق في وجه الملكة بكل روحه وقواه
ثم مالبث ان مرق نحوها كالسهم وصاح
ـ رباه هل انا في حلم ام في يقظه؟ ولكن لا انني لست حالم
انما هي هي بنفسها

وقد سمع سليمان هذه المناجاة فالقى على أسعد نظرة صارمة
وقال له : ماذا بك

فلم يجب أسعد ولكنه ظل يحملق في وجه الملكة بكل قواه
بينما كانت الملكة تلقي عليه نظرات ابرد من الثلج
ثم رآه يقول كمن يحدث نفسه ويناجيها
هاتان العينان

كلا لست حالما لست واهما انني اراها رأي العيان

وهنا حول سليمان وجهه وفهم كل شيء

وكان رئيس الكهنة والآخرون قد لاحظوا التغير الغريب الذى طرأ على أسعد فقال الاول في نفسه

يالله كم هو مصفر الوجه

ثم حانت منه التفاتة الى ابنته سلمي فالفاها شاحبة الوجه فقال كمن يبتهل

اللهم احفظ هذه البكر البريئة حتى لا تهلكها الآلام

ان الشياطين قد لبست هذا الرجل يالله هذا الشاب النشيط والقائد الماهر . من كان يظن انه ينحط الى هذا الدرك الاسفل

وقالت عصاروت في نفسها

ـ يالله كم يحملق هذا الشيطان في مولاتي

وتمتمت الملكة بصوت خافت :

من كان يظن انني القاه هنا

وما الذي دهاه وما هذا الضعف الذي استولى عليه ؟؟

أما أنا فيجب ان أتشدد يجب ان أتسلح بالكذب

ثم قالت بصوت مرتفع

ـ من هذا الرجل وما الذي دهاه وماباله يحملق في وجهي هكذا

وصاح أسعد :

ـ يا الهي هـذا ألا تذكريني ألا تعرفيني

هل انكرتني لي ؟؟

... الجارية أخرى وهمس :

ـ ألا تذكرين تلك الساعة أيها الملـكة ، ضوء الشمس فوق جبل لبنان

فصاحت الملكة بغضب ـ اليك عني ياهذا انت مجنون

فهتفت الحاشية : لاريب انه مجنون

وكان تدعينا التي تروحان وتجيئان فى عجريهما شأن المثوه تماما

فصاح ... حنان بغضب ـ الى الوراء الى الوراء ياهذا أنت مجنون

وقال سليمان بحنان ـ ماذا دهاك يا أسعد

وهتفت سلمى يا أسعدي

وصاح أسعد ـ نعم ماذا دهاني الى جننت اني فقدت عقلي ... تنذنى بالموت . يا الهي قد سئمت الحياة

وقال سليمان مرفيا عنه ـ رفه عنك يا رائى فما تزف الى العروس ... كل ما ... بك

وما كادت الملكة تسمع هذا القول حتى ... وجهها رغاض جماله العروس ؟؟ اذن فهو سيتزوج هذا القائد الشاب الباسل

أول رجل أحبته فى حياتها حبا صحيحا

يتزوج ؟ مستحيل . انه يحبها هذا مثلما تحبه ولولا هيبة الموقف [illegible] ولولا التاج الذي تحمله فوق رأسها لابعدت [illegible] الذين يهزأون به [illegible]

ان قلب المحب لا يخطىء أبدا وقد رآها تسعد ولم يخطئها [illegible] فهل لم رآها فلا بد اذن انه يحبها

وهل يوجد دليل على حبه لها أكثر من اهماله تلك العروس الحسناء التي لا تزال في مقتبل العمر . اهماله اياها قطعا [illegible] على قدميها هي واذن فهي لن تتركه يتزوج . كلا [illegible] لن تسمح مطلقا بتاتا

وأخذت الغيرة تدب في قلبها دبيب الموت في الحياة

كلا انها لا تتركه لهذه الصبية الضئيلة التي لا تقدر حسنه ومواهبه ونعم الله عليه

[illegible] الفتاة تحبه ولكن حبها له هو غير شك حب حيواني . أما هى أي الملكة انها بلغت مبلغ الدهاء فهى تحبه من كل [illegible] بها وبكل كنونتها

وكان سليمان يلاحظ كل شيء فأدرك ما يعتمل في صدر

بلقيس وعزم على امر ولكنه رأي اقتاد الموقف ان يقتبل بضيفته الكبيرة من ذلك المكان

قال لها ـ أهلا بك أيتها الضيفة العزيزه ادخلي على الرحب والسعة

ودخلت الملكة يحف بها الجوارى والعبيد وحولها العذارى ينشدن الاناشيد وينثرن في طريقها الزهور والرياحين

الفصل السادس

أفى حلم أم فى يقظه ؟!

كان القمر يرسل أشعته الفضيه على الحديقة الغناء التي تحيط بقصر سليمان

حديقة بديعة فيها من كل الزهور وكل الفواكه

وكان النسيم يهب عليلا بليلا والسكون شامل فى الحديقة وكان المنظر يكون رائعا وساحرا لو ان السكون كان شاملا القصر برمته

ولكن ذلك لم يكن فقد أقام سليمان لضيفته الكريمة حفلة عظمى وكانت الليلة برمتها في انحاء المملكة أشبه بعيد

وقد شعرت الملكة ببعض التعب من ضوضاء الموسيقي والاناشيد والرقص والروائح العطرية الشديده فانتهزت احدى الفرص وتسللت من باب القصر ونزلت السلم الرخامى الكبير

المؤدى الي الحديقة وهي تمشي الهوينا وتتبختر في ثوبها الحريري الشفاف الذي يكاد يشف عن جسمها البض الرشيق

جاءت تخطو فوق درجات السلم ببطء وهواده وتستنشق النسيم ملء رئتيها شأن الشخص الذي خرج من جو لا يعجبه الى آخر يوافقه

نعم ان تلك الحفلة الساهرة وذلك المرقص الفاخر والمائدة وما عليها من طعام وشراب كل ذلك لم يكن من شأنه ان يرفه عنها الحزن الهائل الذى استولى عليها وراح يضغط فوق صدرها منذ تلك اللحظة التي سمعت فيها أن أسعد سيتزوج في اليوم التالي

في اليوم التالي. اواه لا بد ان تبذل كل جهدها وتعمل بكل ما أوتيت من قوة على الحيلولة بين أسعد وهذا الزواج

فما العمل؟؟ كانت تحدث نفسها بقولها :

هذا أول رجل خفق له قلبي فارشدني يا رباه ايهما خير لي الحب ام التاج

وهل اترك ابهة الملك وعزه واقنع بقلبه الذهبي !! انني لن انساه مدى الحياة ولن تبرح مخيلتي ذكريات ذلك اليوم

أواه كم كنت مغتبطة ولو انيح لي يومئذان استبقيا في قصري ولقد ظننت بادىء ذي بدء أنني استطيع ان اسلوه واقنع بالذكرى.

ولكن ذلك لم يكن في مقدوري وهذا هو السبب الذي من اجله عجلت بالمجيء الي هنا

أيها الاشجار التي تكتمين السر

[illegible] الذكرى

وذلك النسيم العليل الذي سمع همساتنا

وتلك الطيور المغردة على الشجر التي رأت عناقنا

كل هذه ستكتم السر كما كتمته ولكني مسرورة وسعيدة فانا واثقة انه يحبني كما أحبه ولا يحزنني الا انه سيتزوج غدا غدا

ولكني واثقة بانهم يعجلون في تزويجه لامر واحد فقط هو ان ينساني وينسى ذكريات تلك المقابلة الاولى ولكن هيهات

لقد استمتعت بتلك الذكريات لقد كانت نعيمه وكانت جحيمه

وفيما هي تردد هذه الاقوال واشباهها وتتنقل بين الاشجار مطلة نافرة من الندرضاء الى الهدوء تقول الناي اذ بها تسمع وقع خطوات في [illegible] فحولت وجهها ورأت [illegible] استاروت

هتفت باقس

ـ استاروت ـ نعم يا ولاتي

ـ ماذا تفعلين هنا

لقد شعر القوم بغيابك يا ولاتي كما يشعرون بانطفاء شعلة

تشع سرورا ونورا فبحثوا عنك ولم يجدوك لذلك قصدت الى هذه الحديقة في ابحث عنك وقد وجدتك

فقالت الملكة

- انى سئمت كل هذا الضجيج فخرجت اروح عن نفسى

فقالت استاروث- مولاتى انى اجيئك بخبر ذلك الرجل لوقيه الذى تجاسر على النظر اليك

فهتفت الملكة :- أسعد تكلمي .

فقالت استاروث- نعم يامولاتى انه يتنزه هنا تحت اشجار الصنوبر فاسرعي من طريقه يامولاتى . . .

فقالت الملكة- ان حبه مهما كان جنونيا فهو لا يخيفني يااستاروث

وما كادت الملكة تفرغ من كلامها حتى تباعدت بعض الاغصان ونفذ من بينهما أسعد وهو يمشى الهوينا ويغمغم قائلا

يالله ما اجمل رائحة العطر التى تملأ هذا المكان

ووقع بصره في هذه اللحظة على بلقيس فتراجع مأخوذا ولمعت عيناه وراح يهتف

من تلك التى اري ربادأفى حلم انا ام فى يقظة

فقالت بلقيس بصوت عذب - أسعد

نعم انها هى عينها نهاتك انها محرك في نفسي ذات الجنون والخبل .

ومشى نحوها فلم تتحرك ولم تفزع فصاح

ـ هل جئت الى بالتالى انت انت بعد ان تركت عندك فؤادى فى جبال لبنان

فقالت الملكه بصوت عذب كانه انغام الموسيقى

ـ نعم نعم انى هي التى رأيتها تسبح تحت نافورة الماء. انى هي التى بادلتها تلك القبلات الحلوة أواه كم انتظرتك وكم تمنيت ان تعود

ولم يكن أسعد يصدق عينيه ولا اذنيه فهتف قائلا ـ أهذه انت ؟ اهذه انت حقا ؟ اهذه انت لذتى وشقائي وحياتى وهلاكى ؟

فرددت الملكة :

ـ اواه كم انتظرتك وكم تمنيت ان تعود

قال وهو لا يزال يسبح في عالم الخيال

حدثيني من أي عنصر انت ؟ هل خلقت من النسيم الطائر من انفاس الهواء وهل ستختفين من بين يدى كالحلم اذا انا احتضنتك بين ساعدى

فقالت الملكه دعك من الشكوك ودعك من الريب الا تسمع دقات قلبي دعنى اقول لك بقبلة حلوه انك وجدتني

فهتف ـ يالله ماذا اسمع وماذا أرى أشعر بالارض تميد تحت

تمدى وبالدنيا تغيب من حولى

فقالت ـ دع الارض تميد والدنيا تغيب من حولك وتعال الي

ضمك الى صدري وقول لك بقبلة حلوة انك وحدتني

[illegible] بخطوة فخطوة وقد نفسه تحت قدمي الملكة

فانحنت هذه فوقه ورفعته بين ساعديها و كشفت الغلالة

الحريرية الرقيقة التي تغطي جسدها البض وضمته الى بدنها العاري

[illegible] ان سمعت الكاهن فى المعبد القريب

يرتل بصوت جميل

قد بزغ الفجر يابني اسماعيل فقوموا الي الصلاة

وعندئذ تراجعت الملكة وتخلصت من الشاب ثم همست

بصوت كتغريد البلابل الوداع

فهتف الفتي وتكاد نفسه تطير شعاعا صبرا صبرا أيجوز ان

تذهبي كذلك

فقالت الملكة ـ الوداع او الي اللقاء فكر بي وسأراك قريبا

ـ صبرا صبرا أيجوز ان تذهبي كذلك

ولكنها كانت قد غابت بين الاشجار فوقف الفتى مذهولا

ثم مشى في اثرها خطوة او خطوتين كانه لا يزال فى حلم ثم

اصطدمت قدمه بالسلم المؤدى الى القصر وسقط لا يعي

الفصل السابع

العرس

وعندما خرج القوم للصلاة عثروا على أسعد في تلك الحالة فحملوه الى القصر

وقد ظل يعاني من الحمي التي أصابته منذ تلك اللحظة الى ان أبل قليلا وظن سليمان وظن الجميع أنه لا ينقذه من يأسه وقنوطه وشقائه غير التعجيل بزفه الى سلمى

ولما ذهبوا به الى المعبد لم يمانع فقد كان لا زال تحت تأثير ذلك الحلم الخادع الذى كاد يذهب بعقله

وفي المعبد كانت سلمي تنتظره فى ثيابها البيضاء أشبه بزهرة طاهرة لم تتفتح أكمامها بعد تحيط بها عذارى القصر من كل جانب. وكانوا قد البسوا أسعد ثوبا أبيض وحزاما من الذهب فسار على يمين سليمان وراح سليمان يقول له بصوت هامس

ـ أنظر الي السماء وانتص من قلبك هذه الاحلام الدنسة التي اعلم انها تعتمل في نفسك وتقدم الى الهيكل وبين أصابعك يد هذه البكر العذراء والله كفيل بكرمه وفضله ان يهبك السعادة ويمن عليك بنعمة السلوى

ثم التفت سليمان الى كبير الكهنة وهو والد سلمى فقال له

ـ يا كاهن الله رتل الصلاة وقدس هذا الرباط الطاهر

فتقدم الكاهن ووضع يد سلمي في يد أسعد وقال :

ـ ليقدس الله هذا الرباط الابدى وليسبغ عليكما السعادة والهناء

فردد بقية الكهنة : آمين

وأخذت العذارى تنشدن نشيد التكريم

وقبل ان يفرغن منه أقبلت بلقيس وخلفها استاروث

ولاحت من أسعد التفاتة فرآها واضطرب ظهرا لبطن

وشرد بصره وضاع لبه وهتف

ـ يارباه ماذا أرى وما هذه الروح الشريرة التي تلبسني ؟

وفي الحال التفت سليمان وقال لبلقيس

ـ سيدتي الملكة انت هنا !

فقالت ـ نعم

ثم أشارت الى وعاء من الذهب تحمله استاروث وقالت

سلمى التي حولت وجهها عنها تبرما واشمئزازا ـ إني أقدم هدية

العرس للعروس الحسناء

وهنا لم يطق أسعد صبرا فالتفت الي الملكه وقال

ـ بحق الله انت شبح من أشباح الليل أم قبس من نور

الشمس أم مخلوقة مثلنا من لحم ودم - لا بد أن أعرف

وهجم عليها ومد يده الى القناع الشفاف الذي اسدلته وأراد ان ينتزعه ليرى هل هى بعينها تلك التى استمتع بضمها الى صدره مرتين كالما ألذ من الحلم

ولكن الكهنة هجموا عليه واحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وهم يهتفون : ويل الشقي

وساد الهرج والمرج ودب الفزع في القلوب ودفنت سلمي وجهها في صدر احدى العذارى اللواتى يحطن بها وراحت تبكي وتنتحب - وصاح كبير الكهنة : انه دنس معبد الله

وهنا رفع سليمان يده فساد الصمت وحبس القوم أنفاسهم وانتظروا ما سيقوله الملك الكبير - قال سليمان

اني عرفت الحقيقة - ثم نظر الى الملكة وقال

وهذه الحقيقة انت تعرفينها ايتها الملكة تكلمى

فتراجعت الملكة الى الوراء بغضب وكبرياء وقالت

أنا لا أعرف هذا المجنون . انا لا اعرفه

فقالت سلمى : ربما كان لا يزال محموما

قال سليمان - وفى هذه الحالة يجب اتمام الزواج فعضت الملكة على شفتها وتقدم الكهنة بأسعد وهو مطرق الرأس وأرقدوه مرة

أخري بجانب عروسه وأما سليمان فقد وجه بصره الى الملكة ولم يرفع عينيه عنها

وأخذت العذاري يرددن غناءهن

وفى وسط الضجيج سمع أسعد صوتا حلوا يهمس بهدوء

ـ أسعد

فجن جنون الفتى وهجم على الملكة مرة أخري وهو يصرخ

ـ هذه الهتى التى لا أعبد سواها

ولكن سليمان وقف بينهما بسرعه وهتف كبير الكهنة

ويل للكافر

وصرخ الكهنة الويل له

وأطفأوا الشموع فى الحال وسكبوا الماء المقدس

وصرخ الجمهور ـ اقبضوا عليه واقتلوه الموت للكافر الموت للكافر

وهتفت سامي من أعماق قلبها

رحمة بنا يا الهى ورفقا يارب نجه لى

فصرخ أسعد

ان الموت هو مرادي وجل مرغوبي اقتلونى

ودعوني أستريح من هذا الجحيم

وهنا عضت بلقيس على شفتيها وتمتمت قائلة يخال لي انني شددت النكير اكثر مما يجب الا يم قوني وأعني

اما الكهنة فقد انقضوا على أسعد وجذبوه الي الخارج وهم يصرخون به فليمت فليمت

وركعت سلمى وراحت تبكي

وأشاحت بلقيس بوجهها وشيعت أسعد بنظرة تنم عن الرفق

اما ليمان فلم يرفع بصره عن بلقيس وهو يعلم بالدور الخبيث الذي لعبته في هذه المأساة

الفصل الثامن

رغبة الملكة

كانت تلك الايام كلها حفلات وافراح احتفاء بملكة سبأ العظيمة ولم تؤثر حادثة ذلك الصباح التي حدثت في المعبد في وليمة المساء التي اقامها سليمان لبلقيس وكانت بلقيس تخطر في هذه الحفلة بغلالة اخري رقيقة تزيدها حسنا على حسن

كانت فرحة طروبة في الظاهر بينما كانت في الباطن تعاني من الآلام مالا يعانيه الابالسة في الجحيم. كيف لا وقد اتصل بها انه طائفة الكهنة قد حكموا بقتل أسعد لكفره وتدنيسه المعبد ولكن

كان لا يزال ثمة أمل في انقاذه او هي ظنت انه لا يزال ثمة أمل في ذلك فأقبلت على سليمان تلاطفه حتي ظنت انه وقع في فخها ولما انتهي الرقص ورفع الطعام تسللت الملكة الى الحديقة كما فعلت بالامس وكان النسيم عليلا بليلا والقمر يسطع في قبة السماء ويخلع على البستان حلة فضية تأخذ بالابصار فاتكأت بلقيس على السلم لرخامى المؤدى الى البستان وقد شعرت بخطوات سليمان في أثرها قال لها

ماذا بك أيتها الملكة قد لاحظت ان الطعام لم يطب لك وان الرقص لم يعجبك وان الاغانى الحلوة التي تنشدها العذارى لم تدخل السرور علي قلبك فهل لفؤادك رغبة فأوديها

فتقدمت الملكه خطوة أخرى كأنها تنفر منه

ولكنه تبعها وظل واقفا في انتظار كلمة تنطق بها

وحينئذ التفتت اليه بلقيس وفي عينيها الرائقتين من الضراعة ما يحمل الناظر على أجابة سؤلها ولو سألته الدنيا وما فيها قالت له بصوتها الملائكى

نعم ان لفؤادى رغبة فهل لك في قضائها

فقال سليمان: اني اهبك نصف ملكي اذ أردت

فقالت: لا اريد نصف ملكك. أعطيك انا كل ملكي اذا قضيت

حاجتي البسيطه

ـ اذا كانت في مقدوري

فهتفت الملكه ـ وأي شيء ليس في مقدور ملك الملوك

فقال سليمان قولي ما حاجتك يامليكتي

فقالت ـ وهي لاتزال تنظر اليه بعينيها البديعتين

أريد أن تنقذ ذلك الشاب المسكين من غضب الكهنة

فهتف سليمان ـ اي شاب ؟ أسعد؟

فقالت الملكة متجاهلة : هل يدعى أسعد ؛ حسنا اذن أكل اليك ان تحفظ أسعد من غضب الكهنة

فقال سليمان ـ حياة هذا المذنب ليست في يدي بل هى ملك الكهنة وقد قالوا كلمتهم فيه

فقالت بلقيس ـ يد الملك قادرة ان تعطى كل شيء والملك قادر ان يعفو ويصفح فهل يرفض علي الملك هـذا العطاء البسيط وهل يرفض الصفح عن شاب مسكين

فنظر اليها سليمان طويلا ثم قال

ـ ماقيمة هذا الشاب عندك

فقالت ضاحكة ضحكة معنوية تنم عن المكر

ـ قيمته عندى؟

إنه لاقيمة له فى نظري ولكني الآن اعتبر ان له قيمة لاعلم هل تهب ضيفتك هذا السؤال البسيط املا .

فقال سليمان ـ هل تضنين بحياته ! إنني أعرف مكنون فؤادك وفؤاده وفي المعبد قد رأيت انظاره تعلق بانظارك فأبيت الا ان تنكريه وتتنكرى له وتقولى أنك لا تعرفينه وانه مجنون معتوه وكأن في مقدورك ان تنقذيه اذا شئت

فهتفت الملكة بشيء من الانفة ـ ألا تهبني هذا السؤال البسيط وأنا نزيلة دارك وأنت لو سألتني أثمن جوهرة فى تاجي مقابل لا شيء لما ضننت بها عليك

ثم ركعت أمامه فجأة والد لانت عريكتها وتولت انفتها وهل تصر على الرفض اذا أنا جثوت تحت قدميك وسألتك حياته

هل تصر على الرفض وأنت ترى سيدة تجثو تحت قدميك

وهل يظل قلبك الكبير صامتا لا يتحرك ؟؟

فرفع الملك رأسه الكبير وقال ـ عبثا تحاولين اقناعي وعبثا تحاولين الايقاع بي فقد عرفت مكيدتك وفهمتها

إنك اردت الايقاع بذلك الشاب المسكين فأذنب ولا خلاص له من العقوبة

فقالت . مهما يكن من الأمر ومهما يكن من خطائي فانني لا

لست اضرع اليك ان تقتله وتحصده بل آمرك ان تخاصمه

ونهضت بلقيس ـ وشرر الغضب يتطاير من عينيها وقد استحالت

وداعتها ووديعتها الى وحشية وقسوة

أما سليمان فانه ما كاد يسمع كلمة (آمرك) حتى اقترب منها

خطوة أخرى والقي عليها نظرة طويلة تنم عن السخط والكبرياء

ثم حول وجهه وانثني راجعا

فهتفت بلقيس ـ انه صامت انه لا يتكلم يا للعار

فقال سليمان ببطء وهدوء

الاحتفال قائم على قدم وساق أيتها الملكة والمحتفلون في

انتظارك فهل لك ان تعودي

فمشت اليه الملكة في كبرياء وقالت ـ أتضن علي بهذا السؤال البسيط

أتحتقر ضيفتك العظيمة الى هذا الحد

حذار ايها الملك المتكبر إنك طردتني واذللتني وسوف

تحين ساعة الانتقام وسوف ترتجف خوفا وفرقا متى تلألأت

في أضواء الشمس ارماح سبأ الحديدية

وعندما يسقط عرش صهيون وعندها تركع تحت قدمي

وتسألني ان اهبك الحياة وعندها اضرب لك مثلا في العفو عند المقدرة

فقال سليمان بهدوء . لست أعبأ بتهديدك ووعيدك

ان الله الذى أقام أريكتي على الارض كلها يريد الحقيقة والنور أما أولئك الذين يعملون في الظلام ويكيدون للحق فلا يلبث ان ينطفىء المصباح الذي بنوره يهتدون وعندها تنقطع بهم الاسباب وفي أنحاء الارض يشردون

فلم تجبه الملكة وأمعنت السير بين أشجار الصنوبر

أما سليمان فانه شيعها بنظرة هزء وتهكم ورجع الى قصره

الفصل التاسع

ملاك وشيطان

في صحراء مترامية الاطراف تصطلي فيها الرمال تحت اشعة الشمس الملتهبة كانت توجد نخلة خضراء صغيرة تلقي حولها ظلا هادئا باردا أشبه بالدوحة الجميلة في وسط ذلك الاتون الملتهب وكانت هذه النخلة هي الحد الذي يجب على غير المرغوب فيهم من سليمان ان يتعدوه كانت هذه النخلة بالنسبة لاسعد بمثابة الحد الفاصل بين الوطن والمنفى وكان الشاب المسكين يمشي متعثرا في تلك الصحراء والشمس تشوي هامته والرمال تحترق قدميه وهو ينتزع قدميه من الرمل انتزاعا ويخطو ببطء وهو مطرق الرأس ذليل النفس كسير القلب

وكان يجيل الطرف حوله بين الفينة والفينة فلا يرى سوى ارضا تتلظى وافقا يحرق فتخرج من صدره آهة جارحة ويغمغم

يا الهي رحمتك وغفرانك

وما زال يضرب في البادية حتى وصل الى تلك النخله المورقة الظل فتهالك تحتها واستولى عليه نوع من الذهول من تأثير التعب والهم وسوء المصير الذي ينتظاره

وفجأة سمع أسعد كما يسمع النائم صوتا عذبا يناديه باسمه

أسعد فغمغم من ذا الذي يدعوني

فسمع الصوت الرقيق مرة أخرى

أسعد

وهنا فتح أسعد عينيه ثم انتفض جسده بقوة حين وقع بصره أمامه على بلقيس ملكة سبأ

« * »

انها قطعت مثله وفي أثره تلك البادية التي تتلظى بنيران الشمس وبذلك عانت بسببه ماعاناه هو بسببها ولكنها لم تكن ذاهبة الى المنفي مثله بل كانت تطارد غرامها ملبية اصرخة فؤادها

« * »

دفن أسعد رأسه بين كفيه وغمغم اليك عني لا اعرفك

فقـالت بلقيس بصوت مزجت فيـه كل رقتها وحنينها

الا تعرفني انا الملـكة انا بلقيس وقد قطعت هذه الصحراء المترامية في اثرك نزولا على رغبة فؤادي وقـد ذلل لي الحب هذا الطريق الوعر وهـداني قلبي الي مقرك فبلغت اليك وانا لا ادرى كيف بلغت تعال معي ان الجمال تنتظرنا فهلم بنا الى مملكتي سبأ

هلم يا أسعد يا معبود فؤادي

فهتف اسعد اتريدين الغـدر بي وخيانتي مرة أخري انك شيطان مريد

فقالت بلقيس .

ـ كلا كلا . انني نادمة وها أنذا اطلب صفحك والدموع تملأ عيني وتتدحرج على وجنتي ليس الذنب ذنبي بل ذلك الكبرياء الفاسدة التي جعلتني انفصل منك ولا اصيح في الملأ انني جاريتك الوفية

ـ اليك عني اليك عني

ـ انظر الى يا أسـعد انى ابتهل اليك على ركبتي ان تنظر الى لترى الدموع كيف تروى وجنتي

يا أسـعد انا احبك وأعفر جبيني تحت قدميك حتي انال صفحك وغفرانك

قالت ذلك وركعت عند قدميه وهو لا يزال متمالكا في موضعه ولكنه صاح

انا أعرف هذا الحب وقد تقلبت في جحيمه وكان ينبوع آلامي فتألمي مثلما تألمت انني أمقتك وألعنك

ـ الحب لا يستطيع ان يلعن بل لعنة الحب هي البركة بعينها قم وانهض يا أسعد وتعال معي خلف هذه النخلة ليهمس فمي في فمك أناشيد الحب وتتبادل القبلات كما تتبادلها في الفردوس الزهور الصامتة

آه تعال تعال ودعني أضمك الى صدري

فهز أسعد رأسه وهتف ـ أواه اين انا ومن أنا وماذا اسمع أواه يا قلبي كن ثابتا ولا تتذبذب. وانت أيتها المرأة الخائنة انك تسكبين دموعك بغير جدوى لانني أكرهك

ـ أسعد

ـ اليك عني ولا تضيعي وقتك هباء

ـ أسعد

ـ اذهبي تشيعك لعنتي

وسقط رأسه فوق صدره وأغمي عليه!

فنهضت بلقيس والدموع تبلل خديها ومشت تتعثر باذيالها

عائدة من حيث أتت

وعندما أفاق أسعد من اغمائه رأى الدنيا مظلمة في عينيه وشعر بضعفه فايقن انه بات على قاب قوسين أو أدنى من النهاية وهتف قائلا

يا الهي اغفرلي وبارك سلمى فقد أحبتني وتألمت من اجلي ومتى حمل النسيم من جسدي هذه الانفاس البطيئة المتراجعة وتحفزت الريح لتدفن جسمي تحت طبقات الرمل المحرق فان آخر ما تتحرك به شفتاي وآخر ما تصرخ به عظامي هو البركة والسلام على سلمى يا الهي

وكان الليل قد أرخى سدوله وهب من اطراف الصحراء نسيم عليل فرفع أسعد رأسه مرة أخري وهتف بصوت أرق من ذلك النسيم - سلمى

وكأنما اراد الله ان تكتحل عيناه للمرة الاخيرة برؤية سلمي وان تنتعش اجفانه لآخر مرة على صوت سلمى لانه ما لبث ان سمع صوت سلمي وهي تجيبه

- نعم ياأسعد

فمد أسعد يديه يتلمسها بهما

- أنت أنت سلمى شكرا لك

يا الهى قد أجبت دعائي وسمحت لى أن اراها وأنا أموت

أنت تموت يا أسعد اذن خذنى معك

— بل اغفرى لى أيتها العزيزة وعيشى في سعادة وطمانينة

ووضع يده على رأسها واسلم الروح

تمت الرواية

رواية

الاشرار

مصرية غرامية عصريه اجتماعية مؤثرة

بقلم

محمد أفندي حبيب مصطفى

التزام

المكتبة الملوكية

بشارع محمد علي بدرب العوالم نمرة ١٨ أمام الكتبخانه

بجوار دار المؤيد بمصر و بشارع الصنادقية بالازهر الشريف بمصر

حيلة !

(فهمي) شاب في الثامنة عشر من ربيع حياته صبوح الوجه جميله أمين طاهر الفطرة ـ أحب (إحسان) وأحبته وقويت بينهما روابط الصلة والغرام . كان حبهما طاهراً شريفا لم تدنسه بعد يد الشر التي لا تزال بعيدة عن مثل هذين القلبين الطاهرين

لم يكن ثمة إنسان يعرف عن أمرهما شيئا إلا (حامد) صديق فهمي بل أعز أصدقائه فقد كان يسرد عليه يوميا كل ما يحدث بينه وبين حبيبته . وحامد هذا شاب حسود وغيور شعر بمرور الايام بحبه لاحسان غير انه لم يجد في قلبها مكانا لحبه إذ قد سبقه فهمي إلى ذلك وملأ فؤادها حبه والشغف به ـ ففكر تفكيرا طويلا في حيلة يقطع بها حبل تلك الصلة الشريفة وأخيرا انقطع عن مقابلة صديقه فهمي بضعة أيام أرسل إليه في خلالها خطابا قد سطرته يد الارجاس وأوحى به إليه ضميره الخائن يقول فيه

عزيزي فهمي

تحية وسلاما وبعد ـ أكتب لك هذا الخطاب وهو أول خطاب من نوعه وصلك مني ولقد يكون له وقع سيء في نفسك وقد تكون لهجتي فيه شديدة وقد يزعج فؤادك ويؤلمك ـ

ولكن رغم ذلك أرجو أن يكون اعتقادك حسنا واعلم أيها الصديق العزيز انني ما قدمت علي هذا الامر أجل الاحسان إليك وإنقاذك مما أنت فيه من ضلال

عزيزي — مضت مدة طويلة أراك فيها تحاول استمالة قلب حبيبتي (احسان) ولمعرفتها بصداقتنا لم ترغب في الاساءة اليك كما انني انا الآخر كنت استمع الي تأوهاتك وكلمات ولهك وغرامك في فتور بل كنت في الحقيقة اضحك من داخل نفسي بينما قد تكون أنت تبكي بكاء مرا من أجل غرامك الكاذب فاذا ماقمت من جانبي وافترق كل منا عن الآخر لا أذكر كلمة من حديثك أيها المسكين وكأنني لم اقابلك ولم اسمع منك شيئا !!..

ولكن قد ازداد الطين بلة والشفقة عليك والرحمة بك بل وأخيرا تلبية لطلب احسان نفسها آمرك ان تمتنع عن مشاكستها مرة أخرى بعد ذلك وحذار ان اسمع منك شيئا عن ذلك الحب الذي تتخيله

عزيزي — عفوا. ان كنت قد اطلت في كتابتي ولكن علك تتساءل قائلا — أي دليل قطعي يثبت لي صدق ذلك القول واجابة على هذا السؤال أقول احضر في يوم الجمعة القادم الساعه الخامسة بالقيس

بعد الظهر فى حديقه (. . .) حيث تجدني أنا واحسان بناء على موعد قد ضربناه معا للمقابلة

وختاما تقبل تحيات صديقك المخلص

حامد

بينما كان أرسل في اليوم نفسه وفي الساعة عينها خطابا آخر الى احسان يأمرها فيه بمقابلته فى نفس اليوم والمكان في الساعة الثالثة ونصف بعد الظهر لامر هام جدا من جهتها وجهة فهمي يريد عرضه عليها ويتهددها اذا هي لم تنفذ طلبه بافضاح امرها الى كل من عائلتها وعائلة فهمي

* * *

وصل الخطابان في يوم واحد واستلم كل من المسكينين خطابه ووقع كل منهما فى حيرة من امره لا يفهم شيئا من ذلك اللغز الذى وصله

وأخيرا نجحت حيلة ذلك الثعلب المراوغ وعول كل من الاثنين ان يذهب حسب ذلك الموعد غير انه لم يسعدهما الحظ فى ان يتقابلا قبل ذلك

فقد كان اليوم الذى حدده لهما هو ثاني يوم وصول الخطابات فاتى يتقابلان

٢
صدمة قويه

وصل فهمي الى الحديقة واجتاز باب الدخول وسار بضع خطوات ثم وقف يرقب بنظره من بها وما ان انقضت بضع دقائق حتى قطب جبينه وجحظت عيناه وكأن غشاوة قد منعت عنه البصر فارتمى على مقعد كان بجواره وأطرق رأسه الى الارض سابحا في لجة من الافكار : . .

فلقد رأى المسكين محبوبة امسه وسالبة فؤاده ولبه جالسة جنبا الي جنب بجوار صديقه حامد وهما يتجاذبان أطراف الحديث

وبينما هو كذلك اذ بيدين ناعمتين قد امتدتا من خلفه ثم وضعتا على عينيه وصوت رخيم ناعم يناديه

فهمى — فهمي — هل لك ياعزيزي ان تعرف من انا ؟ . .

— وكأنه كان يفكر في محبوبته احسان فلم يتمالك نفسه حتى أجاب بسرعة في غير وعى

احسان ! احسان !

وما انتهى من كلمته حتى التفت وراءه وياالدهشته عندما لم يجد احسان التي كان يحلم بها بل وجد سيدة أخرى غيرها فقال

— عفوا ياسيدتى فلقد حسبتك . . .

ولم يتمكن من اتمام جملته وارتمي على مقعده مرة ثانية وأخذ يبكي بكاء مرا ...

فجلست تلك الفتاة المجهولة بجانبه ثم اخذت تهدىء من روعه حتى فاق

فقالت — نعم ! انني اعرف كل شيء ولكني على اعتقاد تام ان احسان تحب ابن عمي حامد منذ مدة طويلة وما كانت تصد صديقك الخاص لا ان تؤكد لك ذلك وانك اتترهما لك جالسين الي جوار بعضهما وقد سما بهما الغرام فى فضاء من الامل فرفع اليها بصره شاخصا ثم اسكب من عينيه دمعة غزيرة حرّانة انحدرت فوق خديه وقد علاهما الاصفرار ثم نكس رأسه ثانية وأخذ يبكي

فاستطردت الفتاة حديثها قائلة

اراك لا تصدق ماتراه عيناك وعلك تنتظر نتيجة غير هذي .. اصغ الى ان كنت تريد دليلا قاطعا

هيا وانضم ساعدك في ساعدي وانسر جنبا الى جنب كأننا عاشقين قد كللتهما السعادة ولنمر في طريق امام مقعد حامد واحسان وننتكلف الضحك والمزاح وكأننا لم نلتفت اليهما ثم نتابع سيرنا فى الحديقة . . تلك حيلة يمكنك بها ان تعرف تماما ضمير

احسان فان كانت تحبك حقا قامت اليك غاضبة تؤنبك وفي ذلك الوقت يمكنكما ان تتفاهما وان كانت قد خدعتك في بادىء تعارفكما وانها حقيقة تحب حامد لم تعرك اهتماما وقد تتغاضى عن الالتفات اليك وعند ذاك أيضا قد تقوى على نسيانها فلا تعد تذكرها

وافق فهمي وسار الاثنان يتبختران كالعاشقين السعيدين

*
* *

كانت تلك الفتاه تدعى (شكريه) وهي ابنة عم حامد وهي فتاة عصرية أنيقة خبيثة لضمير لذلك اسند اليها هذا الاخير دورا هاما من روايته .. وحقا لقد كان اختياره موفقا فقد البستها الايام ورفقاء السوء ثوبا مدنسا من الرزيلة كونت من مجموعتها شخصا شريرا ذا نفس خبيثة وضمير مدنس وقلب جامد لا عاطفة فيه . رواغة ثعبان واحتيال ثعلب في جسم ملاك قد البسته الطبيعة ثوبا قشيبا من الجمال البديع

***

ويجدر بنا الآن ان نعرف القاريء كيف تقابلت احسان مع حامد

وصلت احسان الي الحديقة حسب موعد حامد ـ كما يعرف القاريء ولم تكد تصل الى هناك حتى وجدته بانتظارها فاخذها

على مقعد على مقربة من باب الحديقه الخارجى كيما يكونا على مرأى من فهمى اذا ما اجتاز الباب

وهناك جلس حامد الى جانب احسان يبثها لواعج حبه وغرامه وهي صامتة لا تعيره أذنا صاغيه وأخيرا قالت له في احتقار

انى احب فهمي ياهـذا كما يهواني ويعبدنى وهو صديقك المخلص فلا يجوز لك أن تخونه

ما اقدمت على ذلك ـ ولوانها ليست خيانة كما تقولين الا من اجل المحافظة عليك . لاظهار تلك الاعمال المخزية التى يرتكبها ذلك الماكر المحتال فى طى الخفاء بعيدا عنك

— انه خائن يا احسان انه يخدعك ولست اول ضحاياه

— فقالت فى سخرية وتهكم

ومن اين لك ذلك ؟

— وممن اعلمنى بأمرك انت ايضا

— اتريد ان تقول انك عرفت ذلك منه ؟

— اجل ! وان كنت تريدين ان تعرفى الشىء الكثير عنه فاسمعي قصة فتاة لا تزال معه لكننى سوف انقذها من مخالبه فذلك فى مقدوري

* * *

تعارف فهمي بابنة عمي شكرية منذ شهر تقريبا واتخذ طرق الخداع لامالتها اليه ولطيب خلقها وصفاء سريرتها وطهارتها مالت اليه كذلك ومثل غيرها من الفتيات ولقد كان فهمي معتادا ان يعرفني بكل جديد لديه غير انه في هذه المرة لم يذكر لي شيئا لقرابة فريسته الجديده لى

كما انني لاحظت عليه تغييرا في احواله وصراحته التي كنت أعهدها فيه ولحسن الحظ عثرت على خطاب منه الى شكريه في حقيبتها يضرب لها فيه موعدا بمقابلته اليوم الساعة الخامسة ونصف بعد الظهر في هذه الحديقة

ثم صمت قليلا وأخذ ينظر اليها ليري مبلغ تأثير كلامه فيها ثم استطرد حديثه قائلا

لذلك يا عزيزتي جئت بك الى هنا في هذا اليوم وفي نفس الموعد كيما تحققين من صدق قولي بنظريك

وفي ذلك الوقت وفي نفس تلك الساعة مر من امامهما فهمي وشكرية غير ملتفتين الى جهتهما وتابعا سيرهما في الحديقة. لم تقدر احسان المسكينه الطاهره اذ تنظر بعينيها ذلك المنظر المرعب فحولت وجهها نحو خامد ثم ارتمت عليه بكليتها تبكي بكاء مرا وقدالتهب فؤادها الما لهول الصدمه وماهي إلا هنيهه مرت

سويعة وهبت احسان من كبوتها مذعورة وتمتمت ببعض كلمات لم يفهمها حامد ثم قالت —

— هيا بنا . يا حامد فليس في مقدوري احتمال تلك الآلام

فقام حامد للتو وأخذ يدها وخرجا من باب الحديقة الخلفي واختفيا عن الانظار

في تلك المدة كان فهمي وشريكته قد اكملا دورتهما في الحديقة ورجعا الى مكانهما الاول . فوقف فهمي في مكانه ثابتا مطرق الرأس الى الارض سابحا في بحار افكاره وآلامه. ساد سكون دام بضع دقائق. ثم سار فهمي عدوا الي حيث كان غريماه لا يعرف ماذا يريد . وبالدهشة عندما لم يجدهما فأخذ يجد في البحث عنهما ولكنه عبثا كان يحاول فنكص راجعا يجر وراءه أذيال الخيبة والفشل ثم ارتمي علي مقعد وأمسك رأسه بين يديه وهزها بقوة وبكى وقد اختبل عقله وكادت تلك الحادثة تفقده الرشد

ظل كذلك لا يعي ما يدور حوله وما استفاق الا ويد أحد ملاحظي الحديقة تهزه هزا عنيفا ثم صوت صاحبها يأمره بالخروج فقد حان موعد اغلاق الحديقه

فيمم شطر منزله وقد اسودت الدنيا في وجهه

مضت الايام تلو الايام وفهمي راقدا في فراشه وقد نحل جسمه من المرض واصفر وجهه من الاسى والحزن وظل كذلك ستة اشهر واخيرا امره الطبيب بالسفر الى الضواحي والارياف استشفاء لمرضه . ونزولا على امر الطبيب سافر فهمي

وبينما هو كذلك في بلاد غربته كان حامد واحسان قد تغير حالهما وازدادت الالفة بين عائلتيهما

واخيرا خطب حامد احسان وتم زواجهما ثم رزقهما الله طفلا كان ساوي والدته في هـذه الحياة بعد انقلاب حالة زوجها وقد أراها بعد قرانه بها باسابيع صنوف العسف والآلام فاظهر لها نفسه كما هو حقيقة شرس الاخلاق فظ غليظ القلب

٣
الضحية

لم يكد فهمي ان يستنشق نسيما من هواء الصحة والابلال حتي اعد العدة للرجوع الى وطنه واهله بل ليرى ولو مرة واحده حبيبته احسان التى لم يقدر علي نسيانها طول تلك المدة .

واخيرا رجع وقد عادت الى وجهه نضارته وامتلأ جسمه قوة وشبابا

ومضى يومان وهو فى وطنه بين اهله وأقاربه وذات يوم خرج بريد النزهة في احدي المنتزهات ترويحا لنفسه من عناء الافكار والآلام

وبينما هو يسير على رصيف احدى الشوارع الكبيرة ينظر الى السماء كانه يخاطب مافيها من كواكب اذ وقع نظره على منظر اهاج بقيه شعوره الكامنه بل وكل ما قد أخبأته ايام المرض والغربه . وسرعان ما اعترته هزة فرح لم يتمالك فيها نفسه فسار متجها الى الافريز الآخر وما ان وصل الى منتصف الطريق حتي كان الترام قد وصل اليه فصدمه صدمة قويه قاسية اسقطته طريحا علي قضبانه وسرعان ما التهمه بين عجلاته حيث لاشفقة ولا رحمة وذهب المسكين ضحية حبه وغرامه شهيد الوفاء والاخلاص.

« * »

كانت احسان واقفة على شرفة منزلها تداعب طفلها الصغير في حنان وشفقه لتسمع اذنيه الصغيرتين اعذب الالفاظ واطرب الاناشيد وما اعظم سرورها حينما يحرك شفتيه عن ابتسامة طاهره حلوة تلك الابتسامة التي تستنشق منها عبير سعادتها وهنائها فى حياتها الباقية

وبينما هي كذلك التفت ذات مره الى الشارع حتى قابلته

عيناها نظرات ملتهبه شوقا الى رؤيتها وقد حرمت من ذلك مدة طويلة — فحدقت الى تلك النظرات في دهشة ولم تستطع ان تحول بصرها عنهـا بينما كانت تشعر من كامن فؤادها سرورا وجزلا عظيمين أجل ! فلقـد وقع نظرها على نظر حبيبهـا فهمي الذى كان ينظر اليها معجبا بجمالها ذاكرا ايامهما السعيدة الاولى وقد كانت هي ايضا تتلهف على رؤيته

وماهي الا دقائق معدودة حتى انطفأ نور ذلك السرور الذى كان يخيم عليهما وانقطع حبل نظراتهما

حتي رأت احسان البائسة المنكوده مقتل معبودها وامنيتها الاخيرة تحت عجلات الترام بعينيها

لم تمالك نفسها في تلك الآونه العصيبه فصرخت صرخة هائلة دوي صوتها المؤلم المؤثر في الفضاء ثم سقطت على الارض مغشيا عليهـا

بينما كان فهمي قد اسلم نفسه الاخير وحمل مضرجا بدمائه الطاهرة البريئة .

٤

الخاتمة

استفاقت احسان من اغمائها فوجدت نفسها في سريرها وبجانبها طفلها الصغير بينما يجلس زوجها حامد على احدى المقاعد بجوار سريرها

ولما كانت تلك الحادثة قد أثرت عليها تأثيرا عظيما هبت من مرقدها صائحة مخاطبة حامد وهي تذرف الدمع مدرارا من عينيها .

حامد ! هل مات فهمي ؟ . . .

فنظر اليها حامد نظرة غضب وحقد كامن بين احشائه وصاح مولولا ونار الغيرة تفترسه

— ويل لك ايتها العاهرة او تذكرين عشيقك الاول الى الآن ؟ لا ! لا ! لم يعد في الوجود ذاك الانسان فلقد انتقم منه الترام شر انتقام ولم يبق منه على وجه البسيطة سوى جسمه مقطعا في قبره .

فزاد نحيب احسان وعلا صوت صراخها المؤلم

وما لبثت ان عبس وجهها مرة اخري عبوسة البائس ساعة

الانتقام والاستمامة

وقالت — آه ايها الخائن ويل لك من انتقام الاله الاعظم

لقد حلت بيني وبينه وأفسدت علينا هناءنا وسعادتنا فأوقعتني

أيها الجبان ، بين براثينك ومخالبك الفتاكه . فذهقت بذلك

روحا شريفه طاهره .

وسوف تكون بعد هنيهة وقد لوثت يديك لاثيمتين

بدماء جريمة ثانية مكبلا بالحديد حيث عذاب السجن مجتاز

طريقك لى حيث تلقى عذاب الجحيم

ثم أحست بحشرجة الموت تتغلغل فى صدرها فقالت وقد خارت

قواها وغلبها الضعف .

ويلاه انى أرى شبح الموت يقترب مني رويدا رويدا

ثم حولت وجهها الى حامد وقالت

—أوصيك خيرا بولدى الصغير

ثم اخذت ولدها الصغير بين ذراعيها تشبعه قبلات حارة

صريعة ثم استطردت حديثها قائلة

والدى ولدى ؟ الوداع ؟ الوداع

ثم سقطت علي فراشها خائرة القوي

***

مضي شهر واحسان تقاسي آلام المرض القاتلة وكلما مر يوم قربت شيئا فشيئا من النهاية ولقد ابعدوا عنها ولدها الوحيد تتلقفه ايدي الحاضنات محروما من حنان الام وشفقتها

وفي يوم مظلم تلبدت سماؤه فارقت احسان الحياة غير آسفة على شيء الاهم الا ولدها المسكين تاركه اياه تحت رعاية الاله الاعظم

ماتت احسان المسكينة وذهبت مقتفية اثر حبيبها الاول

ومضت على ذلك اسابيع ثم لحقها طفلها الصغير الى حيث احضانها الطاهرة تاركا وراءه ذلك العالم الموبوء بالخيانات والجرائم

* * *

وما ان قضى الطفل نحبه حتى لم يبق لحامد فى ذلك الوجود من رجاء ولا انيس

فصاح صيحه عالية اسرع فى أثرها اهل المنزل الى نجدته وزاد الهرج والمرج فى جميع ارجاء المنزل وخرج حامد الى الشارع مولولا باكيا الى حيث لا يدرى

* * *

اضاعت تلك الحوادث الرشد من حامد فاختبل عقله وساءت حالته .

وما هي الا أيام حتي كان قد اتخذ له مكانا بعيدا عن الناس